الفصل الخامس

عاشق نادي نيولز

الالتحاق بنادي نيولز في الحادي والعشرين من آذار عام 1994م

راؤول: «لطالما كان هناك كثير من الأرجنتينيين الطيبين من حولي، مثل: فالدانو الذي منحني فرصة اللعب مع ريال مدريد أول مرّة، ورودندو، والأرجنتينيين الذين لعبوا معي في الفريق. وكلّ هؤلاء تربطني بهم علاقة وطيدة. أتمنى لو أزور الأرجنتين قريبًا لأستمتع بكرة القدم هناك. أريد أن أشاهد مباراة لنادي بوكا جونيورز، أو ريفر بلايت».

«أو نيولز»، يضيف: ميسي بصوت خافت. لا يفوت (البرغوث) أيّ فرصة للتأكيد على عشقه للفريق الذي يرتدي اللونين: الأحمر والأسود، لدرجة أنّه ذكر الفريق الذي يعشقه في حدث إعلامي جمعه بالقائد السابق لنادي ريال مدريد (صاحب الرقم 7 وفي نادي شالكه الألماني 04). ويُعَدّ هذا الأمر حدثًا طبيعيًّا؛ فالعائلة بأكملها تعشق نادي نيولز، ولعب والده خورخي مع فريق النادي مُذْ كان في سنّ الثالثة عشرة حتى التحاقه بالخدمة العسكرية. لقد لعب في خط الوسط، وكانت لديه مهارات فائقة في كشف الملعب، وميول دفاعية أكثر منها هجومية، لكنّه لم يلعب ضمن فئة المحترفين. وقد انضم رودريغو أيضًا إلى مدرسة كرة القدم بالنادي في سنّ السابعة، ثمّ تبعه ماتياس في ذلك.

obeikandl.com

وصـل ليو من ملعب غراندولـي مباشرة عام 1994م، حيـث يعرفه كشّافو النـادي حقّ المعرفة. وكانوا قـد طلبوا من أشقائه مقابلته وتعريفهم به للتحقّق مـن صحة ما يشاع عن موهبتـه الفذّة، وقد أسفر ذلك الأمـر عن تمكّن أصغر أفـراد عائلـة ميسي مـن لعب ثمانـي مباريات ضمـن تشكيلات عـدّة من فرق الرديف التابعة للنادي، وقت الظهيرة والمساء على مدار شهر كامل.

لقـد كان اختبـارًا مكثّفًا، لكنّ ليو لا يُخيِّب الآمـال. فقد رأى المدربون في نادي نيولز أنّه خارق للعـادة، وأوصوا بضمّه إلى مدرسة مالفيناس لكرة القدم التي ترعى اللاعبين الصغار. لم يكن ليو قد بلغ السابعة من العمر بعد؛ ما حتم على إدارة النادي أخذ موافقة الأهل، وهو أمر لن يُشكِّل معضلة؛ نظرًا إلى شغف العائلة بكرة القدم.

يسـرد أباريشيو، المدرِّب العجـوز، الأحداثَ في ملعـب غراندولي قائلًا: «جاءني والده، وقال لي: سآخذه لنادي نيولز. ماذا عساي أقول في تلك الحالة؟ حسنًا... فلتأخذه إذن!».

في الحادي والعشرين من شهـر آذار عام 1994م، أصبح ليونيل أندرياس ميسي، صاحب الرقم 992312، عضوًا في نادي نيولز أولد بويز الرياضي.

يُعَـدّ ناديـا نيولز، وروزاريو سنتـرال الغريميْنِ التقليدييْـنِ اللذيْنِ ينقسم عليهما أهل روزاريو. أُسِّس نادي روزاريو سنترال الرياضي في الرابع والعشرين مـن كانـون الأول عـام 1889م، وحمـل اسـم نادي سنتـرال أرجنتيـن ريل واي الرياضـي (الشركة الرئيسة لسكك الحديد فـي الأرجنتين) الذي أطلقه عمّال سكة الحديد الإنجليز الذين كانوا يعملون لدى الشركة. وكان أول رئيس للنادي هـو كولن باين كالـدر. ثمّ تغيَّر اسم النادي لاحقًا بعد دمـج شركتي فيروكاريل

obeikandl.com

سنتـرال أرجنتينـو، وبوينوسـ آيرس لسـكك الحديد عـام 1903م. ومنذ ذلك الحين، أصبح يُعرَف باسم نادي روزاريو سنترال الرياضي.

يمتـاز لباسـ هذا النـادي بلونيـه: الأزرق، والذهبي. وقد خـرج من لدنه كثير مـن اللاعبينَ الكبار، أمثـال: ماريو كيمبس، ولوتشيانـو فيغاروا، وخوزيه تشاموت، وكريستيان غونزاليس، وروبرتـو أبودنزيري، وروبرتو بونانو، وسيزار دلغـادو، ودانيل دياث، ودانيل بيدرو كيلر، وخـوان أنتونيو بيتزي، وسيزار لويس مينوتي.

يُعَـدّ أرنيستو تشي غيفارا أحد أبـرز مشجعي النادي، وقد وُلِد في روزاريو فـي الرابـع عشر من حزيران عام 1928م، وكان أول بيت يقطن فيه هو شقّة في شـارع إنتـري ريوس تحمل الرقم 480. وفـي مكان ليس بعيدًا عـن تلك الشقّة، توجد جدارية رسمها الفنان ريكاردو كارباني تخليدًا لذكرى (تشي)، في ساحة كوبراسيون (التعاون) بالمدينة.

أمّـا روبرتو فونتاناروسـا الملقب بالنيغرو فيُعَدّ هو الآخـر أحد المشاهير المناصريـنَ للنـادي، وأحـد أعظم فنانـي الرسـوم الساخـرة (الكاريكاتير) والكتّاب في البلاد، لكنّه توفي عام 2007م.

تأسّسـ نادي نيولز في الثالث من تشريـن الثاني عام 1903م، وقد أشرف على تأسيسه كثير مـن الأساتذة والطلبة وخريجي المدرسة الإنجيلية التجارية الأرجنتينيـة، التي أسّسها آيزاك نيول، المولـود في مقاطعة كنت بإنجلترا، في روزاريـو عام 1884م. تقول الأسطـورة: إنّه كان أول مَنْ أحضـر الكرة الجلدية وقوانين كرة القدم الرسمية إلى الأرجنتين.

بـدأ الطلبـة في مدرسته – بمَـنْ فيهم ابنه كلاوديو، مسـؤول الترويج في النـادي – لعب كرة القدم، ثمّ قرّروا بعد ذلك تأسيس النادي. وبذا، فقد سُمِّي

النــادي بنيولــز أولد بويز (أبناء نيــول القدماء)؛ تكريماً لــلأب المؤسس، وهو يمتاز بلباسه ذي اللونين: الأسود، والأحمر.

يغيظ مشجعو نيولز نظراءهم من مشجعي روزاريو سنترال بحقيقة مفادها أنّ دييغــو أرماندو مارادونا لعب لنيولز في يوم من الأيام؛ حتى لو اقتصر الأمر علــى خمس مباريات رسمية واثنتين ودّيتين. كان ذلك عام 1993م، بعد أن عاد (الفتى الذهبي) من رحلــة احتراف في أوروبا بدأها مع نادي برشلونة، وانتقل مــن هناك إلى نادي نابولي، ثمّ أنهاها في نادي إشبيلية. وباستثناء دييغو، لعب للنــادي كثير من الأسماء البارزة، أمثال: غابرييل باتيستوتا، وخورخي فالدانو، وأبــل بالبو، وماكسي رودريغز، وسيرخيو ألميــرون، وموريسيو بوكوتينو، وخوان سيمون، وروبرتو سنسيني، وخورخي غريفا، ووالتر صامويل، وأميريكو غاليخو، ومارتينو الملقب بتاتا.

يُذكَر أنّ أنصار النادي يلقَّبون بالمجذومين. إنّه شيء غريب لكنّه واقعي. وهو لقب ينطوي على إساءة، لكنّه أصبح مع مرور الزمن أحد رموز النادي. ولأن هذا الأمر يحتاج إلى تفسير، فقد عمد أنصار نادي نيولز إلى توضيح ذلك عن طريــق الموقع الإلكتروني الذي أُنشِئَ بمناسبة مرور مئة عام على ممارسة لعبة كرة القدم في النادي.

وبنــاءً على رواية أجدادنــا – التي تُعَد أسطورة متداولــة منذ زمن بعيد– أرادت اللجنــة الخيرية النسائية بمستشفى كاراسكو إقامة مباراة خيرية يذهب ريعهــا لعــلاج المرضى الذيــن يعانون مرض هانســن، أو كما هــو معروف بين الناس بمرض الجذام.

ارتــأت اللجنة تنظيم مباراة لأكبر فريقين فــي مدينة روزاريو. لذا، جرى مخاطبة المسؤولين في كلا الناديَيْنِ للحصول على موافقتهم لإقامة المباراة.

قبل نيولز الدعوة فورًا، لكنّ الطلب جوبه بالرفض من سنترال؛ ما يُعَدّ أول إشارة إلى المشكلات التي ستحلّ بالنادي الذي يتميَّز لباس لاعبيه باللونين: الأزرق، والذهبي. أصبح أنصار سنترال بذلك يوصفون بأنذال المدينة؛ وذلك جعل أنصار فريق الأحمر والأسود يشمتون بهم. ولكن أنصار سنترال ردّوا على ذلك بقولهم: لأن أنصار نيولز متحمسون جدًّا للعب تلك المباراة تحديدًا، فلا بُدّ أنّ سبب ذلك هو إصابتهم بالجذام. ومن حينها بدأ أنصار نيولز يلقَّبون بالمجذومين، في حين نُعِت أنصار سنترال بالأنذال. ومع أنّ تلك القصة أصبحت من أكثر القصص انتشارًا على مرّ السنين (قد تكون حقيقية فعلًا)، ولكن لدى كبار السنّ في روزاريو تفسير مختلف للسبب الذي دفع الناس - منذ الأزل- إلى تسمية أنصار نيولز بالمجذومين؛ حتى قبل تأسيس النادي مطلع القرن العشرين، حين كان يُدعى مؤسسة روزاريو التعليمية فحسب.

تقول القصة: إنّ القضية تدور حول واقع كان سائدًا في ذلك الزمن، يتمثَّل في عدم وجود أسوار عالية تفصل بين البيوت في أحياء روزاريو، واعتياد الجيران تجاذب أطراف الحديث مع بعضهم بعضًا من فوق الأسوار بالوقوف على أطراف أصابعهم، أو بالصعود على مناضد بجانب السور المذكور أعلاه. وهذا يعني - من ناحية أُخرى- أنّ انتشار الجذام بين شريحة واسعة من السكان كان أمرًا سهلًا، ولم تُستثنَ روزاريو من هذا الوضع. ونظرًا إلى خطورة هذا المرض، الذي ظهر منذ غابر الأزمان؛ فقد كان يُعزَل كلّ مَنْ يصاب به، ويوضَع في مكان بعيد بمنأى عن مرأى الآخرين ومخالطتهم.

ولأن المارّينَ بمحاذاة مدرسة السيد آيزاك نيول، يلاحِظون السور الضخم الصُّلْب الذي يحيط بها، فقد أصبح لديهم اعتقاد راسخ بأنّ المكان مليء بمرضى الجذام المعزولين بعيدًا خلف هذا السور. لذا، وبناءً على كلتا القصتين، أصبح أنصار نيولز أولد بويز يُعرَفون بالمجذومين.

ذلك هــو اللقب الذي سيُلازِم ليونيل عندما تجري معه صحيفة لا كابيتال – التي تصدر في روزاريو– حوارًا للمرّة الأولى. فبعد مرور ستة أعوام على تلك القصــة، وبعد خوض ست بطــولات للفريق الرديف، وإحراز نحو 500 هدف، ها هو ذا يحصل على شرف الظهور في الصحافة المحلية.

لوحات جدارية باهتة لفريــق الأحمر والأسود، وعبارة (قوة المجذومين) مكتوبــة علــى قبضــة مرسومة على أحــد الأسوار، لا بُــدّ أنّه من عمــل الأنصار المشاغبيــنَ. ثمّ نجد فوق الحاجز لافتة تقــول: «مدرسة مالفيناس لكرة القدم في نادي نيولز أولد بويز».

أرضيــة الملعــب في حالة يُرثى لهــا، لكنّ ذلك – على ما يبــدو– لا يُزعِج الأطفــال الذين يلعبون هناك. يتعيّن عليهم بذل قصــارى جهدهم؛ فالمدرِّبون فــي النادي قد جاؤوا لإجراء التجــارب. سرير صدئ مهجور في الزاوية بجانب غرف تغيير الملابس. وعلى الجانب الآخر، على طول جادة فيرا موخيكا، يوجد ملعبان آخــران مهجوران أيضًا. يقول بعضهم: إنّ الأمــوال التي يجنيها النادي من بيع التذاكر الموسمية والعادية، وبيع عدد كبير من اللاعبينَ للأندية خارج الأرجنتيــن؛ لا تُستغلّ هنا في المدرسة، حيــث تُدرَّب الأجيال اليافعة. ذلك أمر جلــيّ للعيان؛ مــع أنّ الواقع لم يختلف كثيرًا عن تلك الأيام حين لعب ليونيل أول مواسمه مرتديًا القميــص ذا اللونيْنِ: الأحمر والأسود. قد يُعزى الأمر ببساطة إلــى وجود حماس أكبر فــي الماضي؛ أشخاص أكثر يعملــون بصدق، ومديرون يرضــون بمال أقل. لندع عنّا ذلك، ولنتحدّث عن ذلك العام، حين بدأ على نحوٍ جيــد، وانتهــى بخسارة على يد تيرو سويزو بنتيجــة 0–3. نعم، لقد خسر الفتية اللقــب، لكنّهم تعلّموا من أخطائهــم، بدليل خسارتهم مبــاراة واحدة فقط في المواســم الأربعة التي أعقبت ذلك، كانــت على يد زملائهم في التدريب، فريق نيولز ج.

حصل الفريق على لقب (ماكينات 87) بفضل تلك النتائج المذهلة. وكان أكبر مصدر للرضا بالنسبة إلى ليو، هو الكأس التي تشبه الدلفين، والتي حصل عليهـا الفريق بعد فوزه بلقـب دورة كانتولا التي أقيمت فـي العاصمة البيروفية ليما عام 1996م.

شـارك في هذه الدورة أكثر من 25 فريقًـا، تُمثِّل دولة كلّ من: الأرجنتين، وتشيلـي، والإكوادور، وكولومبيـا. وقد تمكّن فريق نيولز مـن الظفر باللقب في نهايـة المطاف. وفـي المقابـل، استحوذ ميسـي الصغير على اهتمـام وسائل الإعـلام بالحيل التي قـام بها باستخدام الكـرة، فضلًا عن أمـور أُخرى. كان ليـو يقـوم بركل (تنطيـط) الكرة عاليًـا في أثنـاء التدريبات وقبـل المباريات مـن بـاب الترويح عن نفسه. وقد لفتـت هذه المهارة انتبـاه الجميع؛ حتى كبار مسؤولـي النادي، لدرجة أنّـه سرعان ما طُلِب إليه - مرّات عـدّة- الترفيه عن الجماهيـر فـي أثنـاء استراحة ما بيـن الشوطين فـي مباريات الفريـق الأول. وكانـوا حينهـا يعلنـون عـن اسـم ميسي بوساطـة مكبّـرات الصـوت، فيخرج مـن بيـن المدرّجات، ويَغُـذّ الخطا حتـى يصل منتصـف الملعـب لاستعراض بعض الحيـل بالكـرة، ويُبهِـر الجمهـور بحركاته. وفـي تلـك الاستراحة التي تخلّلـت الشوطيـن، وقعـت عيـون المجذوميـن أول مرّة علـى مَنْ سيُشـار إليه - في يوم من الأيام- بليونيل ميسي العظيم.

يتذكّر المدرِّب الثاني لليو في نادي نيولز، أرنيستو فيكيو، الأمرَ وهو محاط بالسيـارات الأمريكيـة القديمة في ورشـة التصليح خاصته، قائـلًا: «لقد كان خارقًا وحكيمًا. فإضافة إلى سرعته، ودقته في تمرير الكرة، كان يلعب من أجل زملائـه فـي الفريق، على الرغم مـن قدرته على تخطّي نصـف فريق الخصم وحده.

أذكر مرّة أنّه تلقّى الكرة من حارس المرمى في المنطقة الخلفية لملعب المدرسة الرئيس، ثمّ ركض على طول الملعب كلّه، حتى تمكّن من تسجيل هدف خيالي. لم يكن ليو في حاجة إلى تعلُّم أيّ شيء. فهل يحتاج لاعب مثل مارادونا أو بيليه إلى التعلّم لإحراز هدف؟ توجد بعض الأمور البسيطة فقط التي يتعيّن على المدرِّب التركيز عليها».

وقد تبيَّن أنّ الأيام حُبلى بكثير من الذكريات المرتبطة بهذين العامين اللذين درَّب فيكيو فيهما ليو، من سنّ التاسعة حتى سنّ الحادية عشرة. من ذلك، دورة بالكيرس التي أطاح فيها فريق نادي نيولز من مواليد عام 1987م بفرق مثل بوكا جونيورز، وأندبندينتي، وسان لورينزو.

يقول لوتارو فورميكا، أحد مدافعي فريق ليو: «لم تكن الكرة تأتي باتجاهنا. أذكر أنّ روداس وميسي كانا يدمران الفرق المقابلة. كان الخصوم يبتعدون عن ميسي حين يحصل على الكرة. وكنّا نحن - معشر المدافعين- نشعر بالملل في بعض الأحيان».

وفي المقابل، كان حال النجم الآخر في الفريق، غوستافو أرييل روداس الملقَّب ببيلي، مغايِرًا لحال ليو. وقد مثَّلت حالته دليلًا على أنّ موهبة اللاعب الطبيعية لا تكفي وحدها لتحقيق النجاح.

ينحدر بيلي، لاعب خط الوسط المهاجم في فريق 86، وصاحب القدرات الفنية العالية، من روزاريو أيضًا، لكنّه وُلِد في إحدى البلدات المليئة بالأكواخ. أصبح هذا اللاعب بديلًا في الفريق الأول لنادي نيولز، ورُزِق مولوده الأول وهو في سنّ الرابعة عشرة. ثمّ لعب ضمن الفئة الأولى أول مرّة عندما كان في سنّ السادسة عشرة، حيث توقَّع له الجميع مستقبلًا مشرقًا. والآن، وبعد أن أصبح لديه طفلان، وبلغ سنّ الثانية والعشرين؛ طواه

obeikandl.com

النسيـان. يشـرح فيكيو هـذا الأمر قائـلًا: «يحدث ذلـك لكثير مـن اللاعبينَ الذيـن ينحدرون من العشوائيات وبؤر الفقر. ومع أنّ كرة القدم تساعدهم على نسيـان البؤس الذي كان يلف حياتهـم، فإنّهم يعودون إلـى العشوائيات إذا لم يتكيفـوا مع الأمر لاحقًا، فضـلًا عن وقوعهم في مستنقـع الكحول والمخدرات والإحبـاط. وممّا لا شـكّ فيه أنّ تلقّي التعليم يُعَدّ علامـة فارقة؛ فقد حظي ليو – علـى سبيل المثال– بأب وأم قامـا بدعمه ومساعدته ليصبح على ما هو عليه اليوم. وأنا أومن كثيرًا بأنّ توافر الأجواء العائلية المستقرة، أحد أسباب النجاح للاعب كرة القدم».

لـدى أرنيستـو فيكيو متسع مـن الوقت ليخبرنـا بقصة أُخـرى؛ تُعَدّ أكثر قصصه لفتًا للانتباه، حيث يقول: «كنّا نلعب أمام فريق من فئتنا يُدعى توريتو. وكان ليـو وقتئذٍ مريضًا، ولـم أشأ أن أُشرِكه في المبـاراة، فأبقيته على الدكة. كانـت المباراة على وشك أن تنتهي، وكان فريـق الخصم متقدِّمًا بنتيجة 0–1، فاقتربت من ليو مخاطبًا إيّاه: هل لديك قدرة على اللعب؟ فهزّ رأسه بالإيجاب، ثـمّ أخذ يقوم ببعض تمارين الإحماء. وقبل أن يدخل، صرخت قائلًا له: أريدك أن تحقِّق الفوز للفريق! وهذا ما حصل فعلًا؛ فقد أحرز ليو هدفين خلال خمس دقائق، وغيَّر النتيجة لمصلحتنا».

وقد لا يكون مُستغرَبًا معرفة أنّ (البرغوث) كان يُسجِّل نحو مئة هدف كلّ موسم.

فعـام 2000م، لعب ليو ذو الثلاثة عشر عامًا بطولته العاشرة والأخيرة مع ماكينـات 87، وكان مدرِّبه آنذاك أدريان كوريا. وقد فاز فريقه في تلك البطولة على ملعب بيلا فيستا، حيث تدرَّب الفريق الأول. حينها؛ أي في الثالث من أيلول، وقبـل أسبوعين مـن السفر إلى برشلونة، نشرت صحيفـة لا كابيتال أول مقابلة

معـه في صفحتين بعنـوان: «ليونيـل أندرياس ميسي، مجـذوم صغير بمهارات كبيـرة». أمّـا المقدِّمة فكانت كالآتـي تقريبًا: «إنّه لاعب مـن الدرجة العاشرة، وصانـع ألعـاب الفريق. إنّه ليس لاعبًا واعدًا في نادي نيولز فحسب، بل هو نجم أمامـه مستقبل باهر؛ فعلى الرغم من قصر قامتـه، لكن يستطيع تجاوز لاعب واثنيـن، والتغلّب على المدافعيـنَ كافة، ثمّ تسجيل الأهـداف، والأهم من هذا كلّه، هو شعوره الغامر بالسعادة والمتعة في أثناء اللعب».

وفيما يأتي وابل من الأسئلة التي طُرِحت عليه، يعقبها بعض من إجاباته:

مَنْ مَثَلُكَ الأعلى؟ أبي، وعرّابي كلاوديو.

مَنِ اللاعبونَ المفضّلونَ لديك؟ شقيقي، وابن خالتي.

ما اسم فريقك المفضّل؟ نيولز.

ما أبرز هواياتك؟ الاستماع إلى الموسيقا.

ما كتابك المفضّل؟ الكتاب المقدّس.

ما اسم فيلمك المفضّل؟ بيبيز داي آوت.

أيُّ المهن تُحبِّذ لو لم تكن لاعبًا؟ مدرس تربية بدنية.

ما هدفك الرئيس؟ إنهاء مرحلة الدراسة الثانوية.

ما طموحك؟ أن يصبح فريقي من فرق الدرجة الأولى.

ما أسعد اللحظات في حياتك؟ فوز فريقي ببطولة الدرجة العاشرة.

ما أتعس اللحظات في حياتك؟ وفاة جدتي.

ما حلمك؟ اللعب في الفريق الأول بنادي نيولز.

obeikandl.com

ما أجمل ذكرياتك؟ أول مرّة ذهبت فيها مع جدتي للعب الكرة.

ماذا يعني لك التواضع؟ أمر لا يجب أن يفقده الإنسان.

ماذا يعني لك نيولز؟ كلّ شيء، الأفضل.

obeikandl.com